تجديد الدّرس البلاغي عند العلوي في كتابه الطّراز

د.كامش أحمد
جامعة الامير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملخّص

مرّت البلاغة العربية بمراحل عديدة قبل أن يكتمل نضجها، لتصبح علما مستقلا عن غيره من علوم العربيّة، له قواعده وقوانينه.

وقد اكتمل صرحها على يدي عبد القاهر الجرجاني الذي وضع نظريتي علم المعاني وعلم البيان في كتابيه دلائل الإنجاز وأسرار البلاغة، وتمكّن بذكائه وثاقب نظره من وضع قواعد البلاغة وبناء صرحها على أساس متين من الأصول والقوانين التي استقرت بشكل متكامل لزمن طويل. فهو من وضع أصولها وأرسى قواعدها ولم يحدث بعده أي تغيير يذكر.

ثمّ جاءت مرحلة التقنين والتقعيد على يد السكاكي، وكان له اهتمام بالفلسفة والمنطق، فعمل على تقنين قواعد البلاغة مستعينا في ذلك بقدراته المنطقية على التعليل والتفريع والتقسيم لتتحوّل البلاغة على يديه إلى قواعد وقوانين صيغت في قوالب منطقية جافة باعدت بينها وبين وظيفتها من إرهاف الحس وإمتاع النفس وتربية الذوق وتنمية الملكات.

ظل هذا حال البلاغة لزمن، خاصّة أنّ الذين جاؤوا من بعد السكّاكي كالقزويني، لم يحيدوا في الدّرس البلاغي عن القواعد التي وضعها السكاكي، فخبا بريقها مع الأيام حتى قيّض الله لها علماء، ومنهم العلوي، فقاموا بإحيائها فأعادوا للبلاغة وجهها الناصع الناضر.

سعى العلوي في كتابه الطّراز إلى الرجوع بالدّرس البلاغي إلى منابعه الأولى ممثّلة في الذّوق والطّبع، وربطه بالإعجاز القرآني؛ فنظّم المادة البلاغيّة وجدّد في المصطلح ووسّعه وأكثر من الشّواهد وأحسن اختيارها ثمّ شرحها بأسلوب أدبي رفيع مبتعدا عن التقعيد، قريب إلى الفطرة والطبع، لإدراك ما فيها من قيمٍ معنوية، وعناصر جمالية.

Abstract:

Like other Arab sciences, rhetoric was not born an hour or a day, it rather passed through many phases until the completion of its maturity andbecoming an independent science by its rules and laws.

Its creation was completed by Abd al-Qaher al-Jarjani, who developed the theory of *semantics and knowledge in his books: signs of achievement and the secrets of eloquence. He* succeeded in his intelligence and insight in setting the rules of rhetoric and building its premises on a solid basis of assets and laws that have been settled in an integrated way for a

long time. It was him who made its assets and laid down its rules and no change existed after that.

Then came the stage of codification and complexity thanks to Al-Sakaki as he was interested in philosophy and logic, he worked to codify the rules of rhetoric using his logical abilities to explain and classify what led to modify rhetoricto rules and laws formulated in logical dry way that stratifiedbetween it and its function of sense exhilaration,self pleasure, breeding of taste and development of queens.

This was the case of eloquence for a long time, especially since those who came from after Al-Sakkis such as the Caspian. They did not deviate in the rhetorical lesson from the rules set by Al-Sakaki and it glowed through days until the appearance of a plenty of scholars, including Al- Alawi and by then they have revive rhetoric brightly.

Al-Alawi sought in his book the style to return to the rhetorical lesson for its first sources represented in taste and temper, and linking it to the Quranic miracle. He organised the rhetorical material, renewed the term and expanded it using lots of evidence and its best choice, then explained it in a literary style far from complications near to the instinct and temper so as to recognise the moral values, and the aesthetic elements.

الكلمات المفتاحية: الطراز. تجديد الدرس البلاغي. المدرسة الكلامية. العلوي. المدرسة الأدبية.

توطئة

ارتبطت البلاغة العربيّة في بداية مراحل تطوّرها بالقرآن الكريم، وكان بيان إعجازه الهدف الذي من أجْله وُضِعَ علم البلاغة، فنما في رحاب كتاب الله، يستهدي آياته، ويتشرَّب معانيه، قبل أنْ ينتقل إلى فنون الأدب العربي بوجْه عام.

وقد أنزل علماء العربيّة هذا العلم مكانة رفيعة تليق به، فانصرفوا لخدمته حتّى استوى عوده على يد عبد القاهر، غير أنّ الاهتمام به ما لَبِثت أن انتقل إلى علماء الكلام والفلسفة فتحوّل، على أيديهم، إلى تعريفات وتقسيمات جافّة، فمنذ أن ألف السكّاكي [ت 626 هـ] كتابه ((مفتاح العلوم)) وجعل القسم الثالث منه في علم البلاغة وكتب أغلبيّة المؤلفين تدور حوله، وتتبنَى طريقته الكلاميَّة، ثمّ جاء من بعده القزويني [ت 739 هـ] فاتَّجه هو الآخَر إلى المفتاح ولخّص قسم البلاغة فيه وهذّبه لكنّه لم يبتعد فيه عن منهج السكّاكي، ثم تبيّن له أنّ هذا التلخيص غير كاف، فوضَع شرحا عليه سمّاه الإيضاح هو الكتاب الذي وقَفتْ عنده البلاغة، ولَم يُكتَب لها بعده التطوُّر والتجديد.

ظهر العلوي [745 هـ] والدّرس البلاغي يتجاذبه اتجاهان مختلفان؛ اتجاه مدرسة الأدباء، واتّجاه مدرسة علماء الكلام، وكان لكلّ مدرسة منهجها وطريقتها؛ أما المدرسة الأولى فتمتاز " **بالإكثار المسرف من الشّواهد الأدبيّة نثرها وشعرها، والإقلال من البحث في التّعاريف والقواعد والأقسام، وتعتمد في النّقد الأدبي على الذّوق الفنّي وحاسّة الجمال أكثر من اعتمادها على تصحيح الأقسام وسلامة النّظر المنطقي.**"[1] بينما تمتاز الثانيّة " **بخاصّة أهلها المتكلّمين، في الجدل والمناقشة والتّحديد اللّفظي، والعناية بالتّعريف الصّحيح، والقاعدة المقرّرة، والإقلال من الشّواهد الأدبيّة، وعدم العناية بالنّاحيّة الفنيّة في خصائص التّراكيب وتقدير المعاني الأدبيّة ... دون نظر إلى معاني الجمال، وقضايا الذّوق.**"[2]

لذلك عندما انتهى الدّرس البلاغي أيام العلوي إلى هذه الحال، وتبيّن له أنّ التجديد ضرورة، شمّر عن ساعد الجدّ وقدّم إضافات دقيقة استفادها من جمعه لمنهجي المدرستين، فأسهم بعمله، ذاك، إسهامات مشكورة ظهرت في كتابه الطّراز. ففيم جدّد ؟ وما هي ملامح هذا التجديد ؟ وما هي أهم مظاهره ؟

العلوي وكتابه الطّراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز.

يكشف العلوي في مقدّمة كتابه ((الطّراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز)) عن سبب تصنيفه له، فيقول: " **ثم إن الباعث على تأليف هذا الكتاب هو أنّ جماعة من إخوان، شرعوا عليّ في قراءة كتاب الكشّاف ... وتحقّقوا أنّه لا سبيل إلى الاطّلاع على حقائق إعجاز القرآن إلاّ بإدراكه، والوقوف على أسراره وأغواره ... فسألني بعضهم أن أملي فيه كتابا يشتمل على التّهذيب،**

[1] الخولي. أمين. مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب. ط 01. دار المعرفة. 1961. ص 160.

[2] المصدر نفسه. ص 159.

والتّحقيق ... "[1] فهو بذلك استجابة لطلب وتحقيق لرغبة جماعة من إخوانه وطلبته أشكلت عليهم بعض قضايا الإعجاز عندما حاولوا دراسة تفسير الكشّاف للزّمخشري، وقد كشف فيه عن مصادر مادّته، وكان أمينا في ذكرها، فأعلن أنّها أربعة كتب، ليس منها الأسرار والإعجاز لعبد القاهر، إذ لم يطّلع عليهما إلاّ من خلال نقول العلماء منهما، قال: " **ولم أطالع من الدواوين المؤلّفة فيه [المقصود هنا هو البيان] مع قِلّتها ونزورها إلاّ أكتبة أربعة: أوّلها كتاب المثل السّائر للشّيخ أبي الفتح نصر بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير، وثانيها كتاب التِّبيان للشّيخ عبد الكريم، وثالثها كتاب النّهاية لابن الخطيب الرّازي، ورابعها كتاب المصباح لابن سراج المالكي. وأوّل من أسّس من هذا العلم قواعده وأوضح براهينه وأظهر فوائده ورتّب أفانينه الشّيخ العالم النّحرير علم المحقّقين عبد القاهر الجرجاني. فلقد فكّ قيد الغرائب بالتّقييد وهدّ من سور المشكلات بالتّسوير المشيد، وفتح أزهاره من أكمامها، وفتق أزراره بعد استغلاقها واستبهامها. فجزاه الله عن الإسلام أفضل الجزاء، وجعل نصيبه من ثوابه أوفر النّصيب والإجزاء. وله من المصنّفات فيه كتابان أحدهما لقبه بدلائل الإعجاز والآخر لقبه بأسرار البلاغة، ولم أقف على شيء منهما مع شغفي بحبِّهما وشدَّة إعجابي بهما إلاّ ما نقله العلماء في تعاليقهم منهما."**[2] ويضيف عبد العزيز عتيق مفتاح العلوم للسكّاكي كمصدر خامس من المصادر التي تأثّر بها العلوي في كتابه الطّراز.[3] فجاء كتابه ولم تظهر فيه طريقة خاصّة بصاحبه، فهو موزّع بين طريقة السكاكي، وطريقة الرّازي [606 هـ]، وطريقة ابن الأثير [ت 637 هـ] ومباحثهم وما أصّلوه من قواعد البلاغة.[4]

كان هذا التّعدّد في مصادر الكتاب والتّنوع في مشاربها واتّجاهاتها السبب الذي دفع أحمد السيّد الصّاوي إلى تصنيف الطّراز ضمن المدرسة الأدبيّة، قال: " **فالعلوي يمثّل بدرسه لهذا الفن الجميل [ويقصد به الاستعارة] بطريقة تذوّقيّة تطبيقيّة تحليليّة، يمثّل قمّة الدراسة البيانيّة، التي تعتمد على الوضوح، ونبذ الأسلوب المنطقي، والبعد عن تسلّط المعالجة الجافّة، ممّا جعل مبحثه ودرسه البلاغي بوجه عام مصدرا مهمّا جديرا بالتّقدير."**[5] بينما صنّفه أحمد مطلوب من قبله، فقال عنه: " **وممّن جمعوا بين المدرستين يحي بن حمزة العلوي في كتابه الطّراز المتضمّن لأسرار البلاغة وحقائق الإعجاز" فهو في القسم الأوّل يسير على منهج أدبي واضح فيه التّحليل والإكثار من الأمثلة، وهو في القسم الثّاني يتّبع طريقة المدرسة الكلاميّة في تصنيف مسائل البلاغة وتقسيمها إلى معان وبيان وبديع، ولعلّ سبب ذلك أنّه في القسم الأوّل يتحدّث عن كلام العرب وأُسس نقده، وفي القسم**

---

[1] العلوي: يحي بن حمزة. الطراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز. تحقيق الشّربيني شريدة. دار الحديث. القاهرة.. د ت. من

مقدمة المصنف. 01 / 18.

[2] المصدر السابق . من مقدمة المصنف 01 / 16 . 17.

[3] عتيق: عبد العزيز. علم البيان. دار النّهضة للطباعة والنّشر. بيروت. ص 46.

[4] نفسه. ص 46.

[5] الصاوي: أحمد عبد السيّد. مفهوم الاستعارة في بحوث اللغويين والنقاد واللغويّين. دراسة فنيّة تاريخية. منشأة المعارف. مصر. 1988.

ص 112.

الثّاني يتكلّم على إعجاز القرآن، وهو في هذا يشبه عبد القاهر الذي اتّخذ من المنطق والحجج العقليّة أساسا في كتابه دلائل الإعجاز ومن الذّوق والنّزعة الفنيّة منهجا في كتابه أسرار البلاغة، يُضاف إلى ذلك أنّ مصادر العلوي جمعت بين كتب المدرسة الأدبيّة والمدرسة الكلاميّة."[1]

لذلك فملامح المدرسة الكلاميّة ظاهرة بوضوح في تحديده لفنون علم البلاغة وتعريفه لها، إذ كان يورد في تعريفه للفنون جملة من التّعريفات للفنّ الواحد، قالها بلاغيون قبله، ثمّ يحلّلها ويناقشها، ويكشف عمّا فيها من خلل وفساد، إن وُجِد، فيخطئ قائليها أو يثني عليهم بحسب ما يظهر له عند التّحليل والمناقشة. أمّا ملامح المدرسة الأدبيّة فتظهر في استكثاره للشّواهد من نصوص قرآنيّة أو حديثيّة أو من كلام الإمام علي وكلام الفصحاء من منثور ومنظوم. ثم تحليله لتلك الشّواهد بأسلوب أدبي رفيع يَنُمُّ عن ذوق رفيع وإحساس قويّ ودقيق.

منهج التجديد في الطّراز

كان **العلوي** من البلاغيين البارزين في عصره، وعند استقراء تاريخ الدراسات البلاغية وقراءتها، سنجده أحدَ أبرز الذين دعوا وسعوا إلى تجديد الدّرس البلاغي في القديم، ولعلّ محاولته هذه كانت استجابة لدعوة قديمة تعود جذورها إلى ق 03 هـ حين قال ابن قتيبة [ت 276 هـ]: " **ولم يقصر الله العلم والشّعر والبلاغة على زمن دون زمن، ولا خصّ به قوما دون قوم، بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده في كلّ دهر."**[2]

ظهرت دعوته إلى تجديد منهج الدرس البلاغي من البداية، بسعيه إلى أن يكون منهجه في كتابه الطراز مميّزا عن مناهج كتب البلاغة التي سبقته، قال في بيان ذلك: " **وأرجو أن يكون كتابي هذا متميّزا عن سائر الكتب المصنّفة في هذا العلم بأمرين؛ أحدهما اختصاصه بالتّرتيب العجيب، والتّلفيق الأنيق، الذي يُطلع الناظر من أول وهلة على مقاصد العلم، ويفيده الاحتواء على أسراره. وثانيهما اشتماله على التّسهيل والتيسير، والإيضاح والتقريب، لأنّ مباحث هذا العلم في غاية الدّقة، وأسراره في نهاية الغموض، فهو أحوج العلوم إلى الإيضاح والبيان، وأولاها بالفحص والإتقان."**[3]

فهو يكشف عن الهدف من تصنيفه الطّراز، وهذا الهدف هو تيسير الدّرس البلاغي وجعله في متناول من يريده، كما أشار إلى الصعوبة التي طغت ملامحها عليه في عصره، وأصبحت الحاجة شديدة إلى التبسيط والتيسير اللذين يأخذان بأيدي الدارسين إلى معرفة مقاصد هذا العلم وفنونه بأيسر السّبل وأفضلها، وتحدّث عن منزلة علم البلاغة بين علوم العربية، وصعوبة البحث فيه لما فيه من الغموض ودقّة الرموز، وذهب إلى أنّ الكثير من علماء البلاغة، قد خاضوا في تقرير قواعد هذا العلم، فقلّبوها على وجوهها كافة، وأتوا فيها بالغثّ والسمين، وكانوا في مسعاهم هذا فريقان: " **فمنهم**

---

[1] مطلوب: أحمد. البحث البلاغي عند العرب. منشورات دار الجاحظ للنشر. بغداد. العراق. 1982. ص 67.

[2] ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم، أبو محمد. الشعر والشعراء. تحقيق أحمد محمد شاكر. دار المعارف. مصر. د ت. 01 / 63.

[3] العلوي. الطراز. 01 / 19.

من بسط كلامه فيه نهاية البسط، وخلط فيه ما ليس منه، فكان آفته الإملال، ومنهم من أوجز فيه غاية الإيجاز، وحذف منه بعض مقاصده، فكانت آفاته الإخلال ..." وذكر " أنّ أوّل من أسّس من هذا العلم قواعده، وأوضح براهينه، وأظهر فوائده، ورتّب أفانينه، الشّيخ العالم النّحرير علم المحقّقين عبد القاهر الجرجاني."[1]

فهو يرى أنّ الجرجاني [ت 471 هـ] بكتاباته يمثّل، على كثرة المصنّفين وتنوّع المصنّفات في هذا الفنّ، العصر الزّاهر للدرس البلاغي، تلك الكتابات التي ارتقت بالذوق الأدبي إلى إدراك البيان، بأسهل الطرق وأوضحها، وهي شهادة ثناء من عارف بالرّجل وجهوده.

وقد وُفق العلوي إلى حدّ كبير في منهجه وفي مسعاه، على الرغم من سيطرة الاتّجاه الكلامي في عصره على جوانب من كتاباته، فقواعد البلاغة معروضة بصورة هي أفضل ترتيبا وأسلوبا ومنهجا ممّا نجده عند السّكاكي، والقزويني، ومن سار على نهجهما من الشرّاح والملخّصين، ومع أنّه لم يطّلع على كتابي عبد القاهر الجرجاني "**الدلائل**" و"**الأسرار**"، إلاّ أنّه كان معجبا بهما، وأفاد ممّا نُقل منهما في الكتب التي اطّلع عليها، ومنها كتاب ((المثل السائر)) لابن الأثير.

مظاهر التّجديد في الطّراز

يستند تجديد الدّرس البلاغي عند العلوي على ثلاثة أسس رئيسة هي: تنظيمه للمادة البلاغية، وتجديده على مستوى المصطلح البلاغي وتنويعه له، وأخيرا تحليله للشواهد والأمثلة من النصوص المتنوّعة بعد إيرادها محاولا الرّجوع بهذا الدّرس إلى عهده الأوّل، ولأهميّة هذه العناصر سنحاول توضيحها.

01 . تنظيمه للمادة البلاغية:

حرص العلوي في كتابه على أن يكون درسه البلاغي موسوما بالتيسير والإيضاح، وذكر أنّ هذا الأمر لا يمكن له أن يتحقّق إلاّ باتباع منهج واضح في التأليف قائمٍ على ترتيب وتبويب مناسبين لتحقيق هذه الغاية، وليكون فيه عونٌ للطالب على سهولة الوصول إلى طلبه.

وقد جاء حرصه هذا من قصور الكثير من المؤلفات البلاغية التي سبقته وخلوّها من الترتيب والتبويب، وكان يعلم أنّ هذين العنصرين من أهمّ عناصر التجديد التي يمكن أن يضيفها، ويجعلها مَيزة كتابه؛ حسن توزيع المادة البيانية وترتيبها، وهي مَيزة مرتبطة بهدفه من التيسير، وقد أشار إلى ذلك في مقدّمة الطراز عند الحديث عن الباعث على تأليفه للكتاب، قال: " **فسألني بعضهم أن أملي كتابا يشتمل على التّهذيب، والتّحقيق، فالتّهذيب يرجع إلى اللّفظ والتّحقيق يرجع إلى المعاني؛ إذ كان لا مندوحة لأحدهما عن الثّاني.**"[2]

لقد أفاد العلوي من معرفته العميقة بعلم الكلام في وضع منهجٍ متميّز وغير مسبوق في الترتيب، ولولا أنّه أسرف في التقسيمات والتفريعات لكان منهجه هذا متسقا تماما مع غايته في تيسير قواعد البلاغة،

---

[1] الطراز. ص 16 . 17.

[2] الطراز. من مقدمة المصنف. 01 / 18.

وكتابه الطراز من أهمّ الكتب التي تأثرت بعلم الكلام، لأنّ الكتب التي عاصرته لم تنتهج مثله في العرض والتحليل، والحصر والتقسيم، وإنّما اتجهت إلى تلخيص القزويني تشرحه أو تنظمه.[1]

رتّب العلوي مادته البلاغية في فنون ثلاثة، وقسّم كلّ فن منها إلى مطالب:

الفنّ الأول: في **المقدّمات** التي يستعان بها على تحديد وتفسير علم البيان وبيان مفهومه، وموضوعاته، ومنزلته بين العلوم الأدبية الأخرى، والطّريق الموصلة إليه، وتوضيح الفرق بين الفصاحة والبلاغة، ومعاني الحقيقة والمجاز، إلى غير ذلك من المقدّمات التي تمهّد السبيل إلى مقاصد العلم وأركانه، فهي بمثابة التّمهيد لما يريده في الفن الثاني، والذي خصّصه للمقاصد.[2]

الفنّ الثاني: في **المقاصد**، وهي المباحث المتعلّقة بعلوم البلاغة الثلاثة؛ علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع، وشرح مصطلحاتها، وبيان أقسامها وخصائصها وأحكامها اللائقة بها والمميّزة لها عن غيرها.[3]

الفنّ الثالث: وقد ذكر فيه ما يجري مجرى **التتمّات والتّكملات**، لمباحث علوم البلاغة التي فصّل الحديث عنها في الفن الثاني، مثل فصاحة القرآن، وبلاغته وإعجازه، وأنّه وصل الغاية التي لا غاية فوقها، وأنّ بلاغته وفصاحته لا يدانيها أي كلام آخر وإن عظُم دخوله في البلاغة والفصاحة، وبيّن أنّه معجز للخلق لا يقدر أحد على الإتيان بمثله، وذكر آراء العلماء في وجوه الإعجاز، ووأظهر الوجه المختار منها، وهذا الفنّ في مجمله تتمّة للذي سبقه.[4] وانتهى إلى أنّ الفن الأوّل في مقام التّمهيد والتّوطئة لما أراده في الفن الثاني، والثالث على جهة التّتمّة والإكمال، وهو تقسيم جديد مخالف للذي نجده في مصنّفات سابقيه، ومثل هذا الترتيب قد يتّفق مع بعض المناهج الحديثة الداعية إلى تيسير البلاغة من حيث إلغاء التقسيم الثلاثي، وجعل البلاغة قسما واحدا، وبحث موضوعاتها مستقلة، أو بحث مستوياتها الثلاثة: الصوتي، والتركيبي، والدلالي، وهي: علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع، بعد تجريدها مما علق بها من مباحث أبعدتها عن هدفها، وتذوّق الأدب الرفيع.[5]

02 . تجديد المصطلح البلاغي وتنويعه

يتميّز المنهج البلاغي عند العلوي بالاستقصاء، فلم يترك شاردة ولا واردة من مسائل البلاغة إلاّ عرضها عرضا مفصّلا دقيقا، واستعان في ذلك بآراء العلماء السابقين والمعاصرين له، وعرض لكلّ مسألة من مسائل البلاغة التي قد يعتريها خلل أو قصور في المفهوم، فبيّن الأوهام التي وقع فيها غيره مدليا برأيه، ومصححا للمفاهيم البلاغية التي سادت قبله.[6]

---

[1] انظر مناهج بلاغية: ص 274..

[2] الطراز. 01 / 19.

[3] نفسه. 01 / 19.

[4] نفسه. 01 / 20.

[5] مطلوب، أحمد، تيسير البلاغة، مستل من مجلة المجمع العلمي العراقي - المجلد الرابع والأربعون . الجزء الرابع - 1418هـ . 1997م. ص 26.

[6] الطراز. 01 / 18 . 19.

ولتحقيق ذلك اعتنى العلوي بالمصطلح البلاغي عناية بالغة، وناقش بشأنه كبار العلماء السابقين، وقلّما نجد مصطلحا إلاّ وله فيه نظرات تقويمية، ساعده في ذلك معرفته الواسعة بعلم الكلام، ورغبته الأكيدة في تجديد الدرس البلاغي، وسعيه إلى أن تكون لكتاباته إضافات لانجدها عند البلاغيين ودارسي الإعجاز الذين سبقوه، وهو ما دفع محمد أبا موسى إلى القول: " **والحقّ أنّ العلوي قد شغل جزءا كبيرا من كتابه في مناقشة البلاغيين في تعاريف هذا العلم، وبيان ماهياته، وتحديد مسائله، وناقش البلاغيين وخطّأهم جميعا فيما ذكروه من حدود، ولم يسلم منه واحدٌ منهم حتّى الجرجاني الذي أسّس هذا العلم كما يقول العلوي، لم يكن تعريفه مبرأ من عيب، والملاحظ أنّ مناقشاته لهم وبيانه وجه الفساد فيما ذكروا كانت مبنية على معرفة دقيقة، بما يجب أن يتوفّر في الحدود من الشروط والقيود**"[1]

لم يُخطِئ العلوي في مناقشاته جميع البلاغيين فيما ذهبوا إليه، بل أثنى على الكثير من القضايا ومدح أصحابها، وكان لا يُخطّئ إلا ما كان يراه خطأ، مع تعليل ما يراه ويقوله، وكان دقيقا في اختيار الألفاظ وفي تحديد المصطلح، ولعلّ ذلك من أثر الثقافة الكلامية، إذ بدا واضحا في كثير من التعريفات، وحالفه التوفيق في كثير من المصطلحات.

ونظرة في الكتاب تُظهر أنّ المصطلح البلاغي عنده قد كثر وتنوّع، فمنه ما وافق فيه سابقيه، ومنه ما شرحه شرحا غير الشّرح المتعارف عليه عندهم، ومنه ما ابتدعه ووضعه، ولمناسبة هذا القسم الأخير لموضوع بحثنا سنقتصر على ذكر ثلاثة منها وغيرها في كتابه كثير:

الإلهاب والتّهييج:

ذكر العلوي هذين المصطلحين في الطّراز وعرّفهما بقوله: " **والإلهاب إفعال من قولهم: ألهب النّار إذا أسعرها حتّى التهبت وطال لهيبها، والتّهييج تفعيل من قولهم: هاجت الحرب إذا ثارت، هذا معناهما في اللغة، وأمّا في مصطلح علماء البلاغة فهما مقولان على كلّ كلام دالّ على الحثّ على الفعل لمن لا يتصوّر منه تركه، وعلى ترك الفعل لمن لا يتصوّر منه فعله، ولكن يكون صدور الأمر والنّهي ممّن هذه حاله على جهة الإلهاب والتّهييج له على الفعل أو الكفّ لا غير.**"[2] وقال أحمد مطلوب عنهما: " **ولم يرد هذا الفنّ إلاّ في كتاب الطّراز للعلوي ولعلّه يدخل في خروج الأمر والنّهي عن غرضهما الحقيقيين، والغرض المجازي في في كلّ منهما الإلهاب والتّهييج.**"[3] فهو يرى أنّ الإلهاب والتّهييج، عنده، مجاز للأمر والنّهي لا غير.

---

[1] أبو موسى: محمد حسنين. البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغيّة. دار الفكر العربي. القاهرة. ص 594.

[2] الطراز. 03 / 149.

[3] مطلوب، أحمد. معجم المصطلحات البلاغيّة. 01 / 310.

الامتحان:

ذكر العلوي هذا المصطلح وعرّفه بالقول: " **اعلم أنّ من المعاني ما يكون متوسّطا فيما أتي به من أجله، فيكون اقتصادا، ومنها ما يكون قاصرا عن الغرض فيقال له تفريط، ومنها ما يكون زائدا عن الحدّ فيكون إفراطا فهذا الفصل يسمّى الامتحان لما كان فيه الإفادة لمعرفة هذه الأمور الثلاثة.**"[1] وقد ذكره مطلوب في معجمه وقال عنه: " **وقد أطلق العلوي مصطلح الامتحان على ثلاثة أنواع هي: الاقتصاد والتّفريط، والإفراط.**"[2]

المبادئ والافتتاحات:

ذكره العلوي هو الآخرعرّفه بالقول: " **اعلم أنّ هذا الفصل ركن من أركان البلاغة، وحقيقته آئلة إلى أنّه ينبغي لكلّ من تصدّى لمقصد من المقاصد وأراد شرحه بكلام أن يكون مفتتح كلامه ملائما لذلك المقصد دالاّ عليه، فما هذا حاله يجب مراعاته في النّظم والنّثر جميعا، ويستحبّ التزامه في الخطب والرّسائل والتّصانيف، وهكذا حال التّهاني والتّعازي يكون مبدؤها وتصديرها بما يناسب ذلك المعنى ليكون معلوما من أوّل وهلة، فحيث يكون المطلع جاريا على ما ذكرناه فهو من الافتتاح الحسن، وحيث يكون جاريا على عكسه فهو معدود من القبيح.**"[3] وذكر مطلوب في معجمه هذا الفن وقال عنه: " **وهذا النّوع هو ما سُمِي حسن الابتداء أو حسن الافتتاح، وكان البلاغيّون والنّقاد قد أوصوا أن تكون الابتداءات حسنة دالّة على ما يُؤتى به ومرتبطة به ... وسمّاها العلوي المبادئ والافتتاحات.**"[4]

ويتبيّن لنا من عرض هذه الأمثلة، وغيرها في كتابه كثير، مدى إسهام العلوي في تجديد المصطلح البلاغي، ونظرة متأنيّة في ((معجم المصطلحات البلاغيّة)) لأحمد مطلوب سترشدك إلى الكثير من هذه المصطلحات التي وضعها العلوي، بما يكشف عن جهد محترم قدّمه الرّجل من تجديد على مستوى وضع المصطلح البلاغي.

لقد تضمّن كتاب الطّراز مصطلحات بلاغية ونقدية كثيرة، " **وكان منهجه عند ذكر أي مصطلح من المصطلحات أن يقوم أولا بتعريفه في اللغة، ثمّ يحدّد مفهومه الاصطلاحي، ويأتي بعد ذلك بالشواهد الدالة على هذا المصطلح من القرآن الكريم، ومن كلام النبي ومن كلام الإمام علي ثمّ من كلام فصحاء العرب، وكبار شعرائها، وهذه هي طبقات الكلام ودرجاته، فالقرآن هو المثل الأعلى للفصاحة والبلاغة، ويليه كلام النبي عليه السلام، فكلام الإمام علي، ثمّ كلام الأدباء والبلغاء، وهذا منهج انفرد به العلوي.**"[5]

---

[1] الطراز. 02 / 229.

[2] معجم المصطلحات البلاغيّة. 01 / 311.

[3] الطراز. 02 / 206.

[4] معجم المصطلحات البلاغيّة. 03 / 180.

[5] زايد، عبد الرزاق أبو زيد، المصطلحات البلاغية والنقدية في كتاب الطراز للعلوي، ط 1 مكتبة الشباب القاهرة 1988م، ص12.

إن العناية بتعريف المصطلحات البلاغية وتحديدها ومراجعتها مراجعة دقيقة، وبألفاظ واضحة هي من أهمّ الأهداف في تيسير الدرس البلاغي في القديم، كما أنّ تنقيّة البلاغة ممّا علق بها من مصطلحات، ومسائل بعيدة عن روحها، والسعي إلى توحيد هذه المصطلحات، والأخذ بأكثرها دلالة على الفنّ البلاغي، كلّ ذلك من الملامح الضرورية في تيسير المصطلح البلاغي وتطويره في العصر الحديث.[1]

03 . تحليل الشواهد والأمثلة من النصوص المتنوّعة بعد إيرادها

من السمات الواضحة في منهج العلوي البلاغي عنايته البالغة بالشواهد، ويتّسع هذا الباب ليشمل نماذج متنوعة من الشواهد التي تأتي في سياق شرح المصطلحات البيانية، ومناقشتها وتوضيحها، وقد اختار العلوي منهجا فريدا قائما على اختيار الشاهد القرآني أولا، ثمّ الشاهد من الحديث النبوي الشريف، ثمّ الشاهد من كلام الإمام علي بن أبي طالب، ثمّ الشواهد من كلام العرب نثرا وشعرا. والملاحظ أنّه جعل كلام الإمام علي في مرتبة ثالثة بعد القرآن الكريم والحديث الشريف، وذلك لمحبّته الشديدة لآل البيت الذين ينتسب إليهم، ثمّ لإيمانه ويقينه ببراعة الإمام ورسوخ قدمه في الفصاحة والبيان.

وقد لوحظ أنّ الدّرس البلاغي بعد عبد القاهر الجرجاني ومن سبقه من علماء البلاغة قد قلّت فيه مثل هذه النصوص الأدبية، لذلك كانت العناية بالشّواهد والنّصوص ذات أهميّة بالغة في تيسير الدرس البلاغي، فسعي العلوي إلى الإكثار منها وتحليلها، وتنويعها وتجديدها، متّبعا منهجا خاصا في انتقائها والعناية بها شرحا وتحليلا وتذوقا.

اقتضى هذا المنهج منه جملة من الأمور منها:

الأوّل: قدّم العلوي في كتابه الطّراز شواهد النثر على شواهد الشعر لأنّ النّثر عنده أفضل من الشّعر، لأنّ الوحي به نزل، وبه نطق سيّد الخلق ، وبه تكلّم الإمام علي وبه خطب فصحاء العرب في المحافل، قال عند حديثه عن بيان الشّواهد على أسرار الفصاحة وعجائب البلاغة: " **وهما كما يردان** [الحديث هنا عن أسرار الفصاحة وعجائب البلاغة] **في المنظوم يردان في المنثور، وأحسن مواقعهما ما ورد في المنثور، ولهذا لم يكن المعجز إلاّ نثرا وما ورد عن الله تعالى، وعن رسوله، وعن أمير المؤمنين كرّم الله وجهه، وعن العرب، من النّثر في المحافل من الخطب أكثر من أن يعدّ ويحصى، فلا جرم رتّبنا إيراد الشّواهد على قسمين تمييزا لأحدهما عن الآخر: القسم الأول في إيراد الشّواهد المنثورة ...**"[2]

الثاني: ذكره لنماذج أخرى من النصوص التي لم يذكرها الذين سبقوه من البلاغيين في الاستشهاد للمسائل وتوضيحها. قال: " **رتّبنا إيراد الشّواهد على قسمين تمييزا لأحدهما عن الآخر: القسم الأول**

[1] مطلوب، أحمد، تيسير البلاغة، ص 881.

[2] الطراز. 01 / 111.

في إيراد الشّواهد المنثورة، وجملة ما نورده في ذلك ضروب ثلاثة: الضّرب الأول: الآي القرآنيّة، والقرآن كلّه معجز لا تخصّ آية دون آية[1] **... الضّرب الثاني: الأخبار النّبويّة، فإنّ كلامه وإن كان نازلا عن فصاحة القرآن وبلاغته، في الطّبقة العليا بحيث لا يدانيه كلام، ولا يقاربه وإن انتظم أيّ نظام**[2] **... الضّرب الثالث: من كلام أمير المؤمنين، كرّم الله وجهه، فإنّه البحر الذي قد زخر عبابه والمُثْعَنْجِر الذي لا يتقشّع ربابه، فمن معنى كلامه ارتوى كلّ مِصقع خطيب، وعلى مِنواله نسج كلّ واعظ بليغ، إذ كان، عليه السلام، مَشْرَع الفصاحة وموردها، ومحطّ البلاغة ومَولِدها، وهَيْدَبَ مُزنها السّاكب، ومُتَفَجَّرَ ودقِها الهاطِل**[3] **... القسم الثاني: في بيان الشّواهد المنظومة."**[4]

الثالث: ذكر البغدادي [ت 1093 هـ] في مقدّمة كتابه ((خزانة الأدب)) تعريف الأندلسي [أبو جعفر أحمد بن يونس ت 779 هـ] لعلوم الأدب في شرح بديعيّة زميله ابن جابر [أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عليّ بن جابر الهواري ت 780 هـ] قال: " **علوم الأدب ستّة: اللغة والصّرف والنّحو، والمعاني والبيان والبديع؛ والثلاثة الأول لا يستشهد عليها إلاّ بكلام العرب، دون الثّلاثة الأخيرة فإنّه يستشهد فيها بكلام غيرهم من المولّدين، لأنّها راجعة إلى المعاني، ولا فرق في ذلك بين العرب وغيرهم، إذ هو راجع إلى العقل، ولذلك قبل من أهل هذا الفنّ الاستشهاد بكلام البحتري، وأبي تمّام وأبي الطيّب وهلمّ جرّا.**"[5] وهذا يبيّن أنّ البلاغيين خالفوا في نظرتهم إلى الشّاهد اللغويين، والنّحاة منهم خاصّة الذين ربطوه بزمان ومكان محدّدين، فتجاوزوا به النّظرة اللغويّة الضيّقة وتعاملوا مع الإبداع في مراحله المختلفة دون نظر إلى قديم أو محدث. لذلك لم يحدّدوا فترة زمنيّة ولا قبيلة معيّنة لقبوله، وإنّما اعتمدوا على الذّوق في اختياره وانتقاءه.

أثرى العلوي بعمله هذا الدّرس البلاغي بتوسيعه للشّاهد، وأخرجه من النّمطيّة والجمود الذي أصابه بما رآه محفّزا ومرغبا في الإقبال عليه، فضلا عن أنّه لم يكتفِ بإيراد الشواهد، بل حلّلها تحليلا أدبيا كشف فيه عن تذوّقه الرّفيع لتلك النّصوص، كاشفا عن بلاغتها ومواطن الجمال فيها.

الرابع: توسّم في تنويعه للشّواهد تيسير الدّرس البلاغي وتوضيحه، وهو ما جعل من كتابه محلّ عناية وإقبال قديما وحديثا.

كشف العلوي باستكثاره الشواهد والأمثلة من النصوص الأدبية، ثمّ تحليلها وشرحها عن ذوقه الرّفيع في حسن اختيارها أولا، ثم براعته في شرحها وتحليلها ثانيا.

---

[1] نفسه. 01 / 111 . 112.

[2] نفسه. 01 / 126.

[3] الطراز. 01 / 129.

[4] نفسه. 01 / 133.

[5] البغدادي. عبد القادر بن عمر. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. تح عبد السلام محمد هارون. مكتبة الخانجي. القاهرة. ط 04. 1997. 01 / 05 من مقدمة المصنف.

خاتمة

وختاما فهذا المنهج ينسجم ودعوة العلوي إلى تيسير البلاغة بتجديد الدّرس البلاغي، هذا التجديد الذي أصبح على أيّامه ضرورة اقتضاها هذا الدّرس الذي حاد عن الهدف الذي وضعه عبد القاهر، فسعى إلى الرجوع به إلى منابعه الأولى ممثّلة في الذّوق والطّبع وربطه بالإعجاز القرآني؛ فنظّم المادة البلاغيّة وجدّد في المصطلح البلاغي ووسّعه وأكثر من الشّواهد وأحسن اختيارها ثمّ شرحها بأسلوب أدبي رفيع مبتعدا عن التقعيد، قريب إلى الفطرة والطبع، لإدراك ما فيها من قيمٍ معنوية، وعناصر جمالية.